مشرقيات

فى الأدب العربى الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة لينجراد

— ٣ —

وهنالك محـاولات فردية بذلت فى سبيل كتابة القصة الاخلاقية (سعيد البستانى ويعقوب صروف) . والقصة النفسية (فرح أنطون ١٨٧٤ — ١٩٢٢) ، وإن كانت لم تضارع قصص زيدان فى مضمار النجاح

لـكن معين القصة التاريخية عند العرب لم ينضب بعد كما يتضح من قصة « ابنة المملوك » التى وضعها فى عام ١٩٢٦ القصصى المصرى محمد فريد أبو حديد . وهى من نوع يختلف كل الاختلاف عن قصص زيدان ، بل إنها وصلت من بعض الوجوه الى مستوى أعلى

أما الأقصوصة فقـد رأت النور فى مصر بخلاف القصة التاريخية ، ولا بأس من ذكر المحاولات التى بذلت فى سوريا ، ولـكن ما كتب هناك من الأقاصيص كان قاصرا على طبقـة المبتدئين . فقد شرع جبران خليل جبران وهو فى شرخ الشباب فى كتابة الأقصوصة على سبيل التمرن ، لـكنه لم يعد الى ممارسة هذا النوع من الـكتابة . أضف الى ذلك أن المجال لم يفسح لهذا النوع الجديد فى مصر إلا ببطء كبير . ولقد حاول الجيل القديم أن يستعمل أسلوب المقامات فى النقد الاجتماعى ، كحديث عيسى ابن هشام لمحمد المويلحى المتوفى فى عام ١٩٣٠ ، وهو ابن الصحفى النابه ابراهيم المويلحى (١٨٤٦ ــ ١٩٠٦) . أما المحـاولات الأخرى (عائشـة التيمورية ومحمد حافظ ابراهيم) فقد كانت أقل توفيقاً . وهناك مؤلف معروف جرّب حظّه فى الأقصوصة ، هو المنفلوطى ، وكانت أقصوصته تارة موضوعة ، وتارة أخرى منقولة بتصرف ، لـكن كتابته امتازت بجمال التنسيق وسلامة الأسلوب دون دقة الموضوع أو البراعة القصصية . أما محمد تيمور الذى توفى فى شرخ الشـباب (١٨٩٢ — ١٩٢١) فيمكننا أن نعـده منشىء الأقصوصة المصرية ومبتكر التصوير الواقعى للحياة الاجتماعية الحديثة . فقد كان ملماً كل الألمام بالآداب الأوربيـة ، قوى الملاحظة ، دقيقاً . فوضع أقاصيص صغيرة مأخوذة من صميم الحياة المصرية ، بأسلوب يحاكى أسلوب موباسان أو تشيكوف تحت هذا العنوان « ما تراه العيون »

وتقدمت الأقصوصة خطوات إلى الأمام فى مؤلفات شقيقه محمود تيمور (المولود فى سـنة ١٨٩٤) وهى مجموعة فى ستة مجلدات[1] . وأقاصيص محمود تيمور واقعية كأقاصيص شقيقه محمد ، لـكنها أكثر تنوعاً ، وأعمق تحليلاً ، وأفصح لغة ، وأسهل أسلوباً

وقد أثر فن التيموريين القصصى تأثيراً كبيراً فى جيـل الـكتاب المعاصرين ، ولنذكر منهم : أخوى عبيد ، المرحوم عيسى عبيد المتوفى عام ١٩٢٤ ، الذى وضع مجموعتى « إحسان هانم وثريا » ، وشحاته عبيد الذى كتبُ « درس مؤلم » ، وطاهر لاشين مؤلف « سخرية الناى ، ويحكى أن ... وحواء بلا آدم » . وهى مجموعة قصصية امتازت بالطلاوة والفكاهة ، ومحمد أمين حسونه مؤلف « الورد الأبيض »

ومن المميزات الجديرة بالملاحظة أن هذا النوع من الأدب وجد أنصاراً مخلصين فى البلاد العربيـة ، وجلها تأثرت بمصر إلى مدى بعيد

وفى العراق كاتبان ذاعت شهرتهما إلى ما وراء وطنهما هما : محمود أحمد (المولود فى سـنة ١٩٠١) ، وقد وضع قصة طويلة بعنوان « خالد » ، ومجموعة باسم « الطلائع » وأخرى موسومة « فى ساع من الزمن » ، والقصصى العراقى الثانى هو أنور شاؤول الذى كتب مجموعة « الحصاد الأول »

ولقد ظهرت الأقصوصة العربيـة فى أمريكا « المهجر » فى الوقت الذى ظهرت فيـه فى مصر ، وربما قبل ذلك ، ولنذكر أولاً عبد المسيح حداد الذى كتب أقاصيص صغيرة كلها فكاهة

(١) بلغت مجموعة محمود تيمور القصصية إلى الآن ثمانية مجلدات وهى : الشيخ جمعة ، وعم متولى ، والحاج شلبى ، والشيخ سيد العبيط ، ورجب أفندى وأبو على عامل ارتست ، والأطلال ، والشيخ عفا الله (المترجم)

بعنوان «حكايات المهجر» وهي تكاد تكون صوراً سريعة للحياة العربية في أمريكا ، وقد أخذ المؤلف كثيراً من روح أقصوصات جبران ، وهناك أيضاً ميخائيل نعيمه الذي خصص في أقصوصته النفسية مجالاً واسعاً لتحليل الروح تحليلاً عميقاً ، متأثراً بالأدب الروسي في القرن التاسع عشر

* * *

إذا استطعنا القول بأن الأقصوصة العربية الجديدة وجدت أمامها الطريق اللائق بتقدمها وازدهارها حتى بلغت المكانة الجديرة بها ، فان القصة لم تصل إلى هذا المدى من النشاط ، وكل ما رأيناه في هذا المضمار هو بعض محاولات طفيفة

وقد استهل هذا النشاط بقصة « زينب » ، وهي قصة طويلة وضعها في عام ١٩١٤ محمد حسين هيكل بك الذي أصبح فيما بعد صحفياً وأديباً نابهاً ، وموضوعها منقول عن الحياة الريفية في مصر . أما من حيث اللغة والأسلوب وطريقة الكتابة فقد فتحت فتحاً جديدا ، إذ امتازت القصة بأسلوبها الطبيعي الخالي من الصناعة والتكلف ، لكنها رغم ذلك لم تلقت الأنظار في بدء ظهورها

ووضع الدكتور طه حسين (المولود في سنة ١٨٨٩) قصة دعاها « الأيام » في عام ١٩٢٧ ، وسار فيها على أسلوب الأخبار العائلية ، وهي تصف طفولة صبي مصري يافع ، عاش في قرية صغيرة على ضفاف النيل ، والقصة جديرة حقاً بالتقدير ، لا من حيث الوصف الحي للحياة الواقعة فحسب ، بل كمؤلف أدبي من الطراز الأول في اللغة والأسلوب وطريقة الرواية

أما مجموعة القصص الثلاث لتوفيق الحكيم فقد رسمت لها خطة واسعة النطاق ، ولم ينشر منها حتى الآن سوى القسم الأوسط « عودة الروح » في جزءين (كتبا في سنة ١٩٢٧ ونشرا في سنة ١٩٣٣) ، وقد خصص هذا القسم للحوادث التي توالت على مصر ابتداء من عام ١٩٢٠

وكان لظهور توفيق الحكيم في سماء الأدب أحسن وقع لما امتاز به من التعمق في الفن الروائي ، وبراعة الوضع ، وسلاسة اللغة ؛ وهذه الأمثلة تحملنا على أجنحة الأمل وتدفعنا إلى الاعتقاد الجازم بأن القصة ستحل قريباً المحل اللائق بها في الأدب العربي الحديث

حـ — المسرحية (الدراما)

لم تنبت المسرحية العربية الجديدة من أصول محلية ، شأنها في ذلك شأن القصة (فهي لم تأخذ شيئاً من المقامة أو القراقوز أو أسمار الدين الشيعي) . وقد شاع فن التمثيل بين الطلبة بفضل الحفلات السنوية التي كانت تقيمها المدارس الأوربية ، واعتاد المدرسون أن يضعوا بأنفسهم المسرحيات التي يقوم الطلبة بتمثيلها إذ كانوا يختارون موضوعاتها من التوراة أو من التاريخ اليوناني والروماني القديم « الكلاسيك » ، وأخيراً من ماضي العرب

لم يقتصر المسيحيون وحدهم على توجيه عبقريتهم نحو هذا النوع ، بل اشترك معهم المسلمون . ففي سوريا ، كتب ابراهيم الأحدب مسرحيتي « اسكندر المقدوني » و « ابن زيدون الأندلسي » ، ووصل فن المسرحيات الهزلية الأخلاقية إلى نتائج جديرة بالثناء منذ أوائل عهد النهضة الأدبية ، بفضل التأثير الأوربي ، فقد زار الكاتب السوري مارون نقاش (١٨١٧ — ١٨٥٥) إيطاليا عدة مرات ، واطلع على مؤلفات موليير ودرس حالة المسرح الايطالي الجديد . وما إن عاد إلى وطنه حتى شرع في كتابة ثلاث مسرحيات هزلية على أسلوب موليير ، وعهد بتمثيلها إلى فرقة من الهواة ، وفي اثنتين منهما صور المؤلف الحياة السورية الحالية . أما الثالثة فهي مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » ، وقد نالت تلك المسرحيات بعض النجاح ، لكن بعد وفاة المؤلف وهو في ريعان الشباب ، لم يحاول أحد أن يسير على خطته ، اللهم إلا في بعض المسرحيات الهزلية الصغيرة التي وضعها طنوس الحر (عام ١٨٦٠) فانها لم تصادف من النجاح إلا القليل

وبعد مضي عشرين سنة ألف الكاتب السوري أديب اسحاق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) فرقة تمثيلية صغيرة بمدينة الأسكندرية ، وهو شقيق سليم النقاش المتوفى عام ١٨٨٤ ، واتجهت الميول وقتئذ شيئاً فشيئاً إلى المأساة شبه الكلاسيكية . وكان أغلب أنصار هذه النزعة من رجال حلقة اليازجي والبستاني

وأول ما ظهر من المآسي « الوردة والوفاء » لخليل اليازجي (١٨٥٦ — ١٨٨٩) ، وهي قطعة شعرية مستقاة من حادث معروف في أساطير الأدب الجاهلي . ويسمه نجيب حداد

(١٨٦٧ — ١٨٩٩) من أغزر الكتاب المسرحيين فى هذا العهد إنتاجاً ، فقد ترك ست عشرة رواية مسرحية ، أغلبها منقول بتصرف عن مؤلفات كورنى وفيكتور هيجو واسكندر دوماس وشكسبير ، لكنه ليس من السهل غالباً العثور على الأصل . وكتب أيضاً بعض تراجيديات من وضعه ، وهى لا تختلف عن سابقتها فى النوع ، نذكر منها « صلاح الدين » و « ثارات العرب » . ونالت مسرحيات حداد إعجاب الجمهور إذ ظل يتذوقها ويفضلها على سائر المسرحيات العربية حتى نشوب الحرب العظمى ، وإن كان الأوربيون يعتبرونها فطرية وغير متناسقة مع حاجات المسرح

وحاول الكاتب المصرى محمد عثمان جلال (١٨٢٩ — ١٨٩٨) أن ينفث روحاً جديدة فى المسرحية الهزلية الأخلاقية ، وفيما عدا ترجمته لمسرحيات راسين وكورنى إلى اللغة العربية الفصحى ، عزم هذا الكاتب على تنفيذ فكرة جريئة ، هى نقل مؤلفات موليير إلى اللهجة المصرية العامية مع مراعاة الأحوال الأخلاقية المصرية

لسنا ننكر أن محاولته تدل على مهارة فائقة وعبقرية ناضجة ، ولكن اللهجة العامية كانت غريبة على المسرح الذى لم يألفها ، ولذا لم تمثل مسرحياته إلا فى سنة ١٩١٢

تلك هى أهم البواعث التى يعزى إليها قصور التأليف المسرحى العربى على النوع شبه الكلاسيكى

لما جاءت سنة ١٩٢٠ كانت بعض الروايات مترجمة وبعضها موضوعة على طريقة نجيب حداد ، الذى كان قد أفسح المجال لعدة مؤلفين قديرين نسجوا على منواله . أما بعد سنة ١٩٢٠ فقد بدأ عهد جديد للأدب المسرحى فى مصر بفضل جهود محمد تيمور الذى تحدثنا عنه فى صدر هذا المقال

كان الفن المسرحى موضع عنايته الخاصة ، وطالما كتب عن المسائل الخاصة بنظريات الفن المسرحى وتاريخه ، كما أنه وضع عدة منولوجات لالقائها على المسرح ، وقد ترك أربع روايات مسرحية : روايتين هزليتين ، ودرامة وأوبريت[1] . أما حوادثها فتجرى كلها فى مصر الحديثة ، عدا الأخيرة فهى مقتبسة عن مصر فى عهد المماليك

(١) هى : العصفور فى القفص ، والهاوية ، وعبد الستار افندى ، والعصفرة الطيبة (المترجم)

ومسرحيات تيمور تمتاز بالروح القوى ، وتراه يدب فيها بفضل استعماله اللغة المصرية الدارجة ، كما أن صفاتها المسرحية العظيمة جديرة بالتسجيل ، ولا شك أنها فى مقدمة المسرحيات المعبرة عن الحياة المصرية ، وهذا من أقوى البواعث التى يعزى إليها نجاحها

وفيما عدا هذه المسرحيات ، فقد نجح ميخائيل نعيمه فى المهجر ، وفى وضع مسرحية هزلية أخلاقية ، امتازت بما فيها من التحليلات النفسية الاخلاقية الرائعة ؛ هى رواية « آباء وأبناء » — ١٩١٧ — ووقائعها مأخوذة عن الحياة السورية المصرية ، وخصصت المقدمة لمسائل مبدئية ، مما يدل على اهتمام المؤلف اهتماما جديا بالمشاكل التى يثيرها التأليف المسرحى ، ولاريب فى أن هذه الجهود تعد فاتحة خير للفن المسرحى العربى

والمسرحيات المصرية التى وضعها أنطون يزبك (خصوصاً الذبائح) المكتوبة باللهجة العامية ، تدل على تقدم مطرد بالنسبة لسابقاتها . وقبيل عام ١٩٣٠ حاول الشاعر الكبير أحمد شوقى بك أن يعيد الى التراجيدية شبه الكلاسيكية رونقها وبهاءها ، فخلف بعد وفاته عددا من المسرحيات الشعرية المنقولة عن التاريخ المصرى القديم أو تاريخ العرب[1] ونجحت هذه المسرحيات نجاحا باهرا بفضل تناسق روحها الشعرية الجميلة المكتوبة بأسلوب عربى قديم صحيح « كلاسيك » فجاءت مطابقة لذوق الجيل الحالى ، وإن كانت لا تعد تقدما فى تاريخ المسرح العربى

(يتبع) ترجمة محمد أمين حسونة

(١) هى : كليوباترا وقيس وعلى بك ومجنون ليلى وأميرة الأندلس

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »

والثمن ١٢ قرشاً